

الأمثل في تفسير كتاب القرآن المنزل

[413] دون غيرها من الصفات والأعمال. في الواقع يمكن أن يكون ذلك بسبب أن "إِنَّمَا يَمُنُّ بِالْآخِرَةِ هُوَ صَمَامٌ أَمَانٌ يَضْبُطُ الْإِنْسَانَ عَنْ ارتكاب المعاصي والذنوب. ثم "إِنَّمَا يَمُنُّ بِاللَّهِ الْعَادِلِ الْحَكِيمِ وَلَا يُؤْمِنُ بِوُجُودِ آخِرَةٍ يُحَاسِبُ فِيهَا الْإِنْسَانَ عَلَى أَعْمَالِهِ وَيُنَالُ حِسَابَهُ الْعَادِلُ!؟" ثم "إِنَّمَا حَدِيثُ الْآيَةِ هُوَ عَنِ الْعِقَابِ وَالثَّوَابِ وَهُوَ يَتَنَاسَبُ مَعَ الْحَدِيثِ عَنِ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ. الْآيَةُ الَّتِي بَعْدَهَا تَنَسَّاقُ فِي نَفْسِ اتِّجَاهِ الْبَحْثِ وَتَشِيرُ إِلَى أَحَدِ الْعِلَلِ الْمَهْمَةِ لِعَدَمِ الْإِيمَانِ وَتَقُولُ بِأَنَّ عَجَلَةَ الْإِنْسَانِ وَتَسْرِعَهُ وَعَدَمَ اطِّلَاعِهِ عَلَى الْأُمُورِ وَإِحْاطَتِهِ بِهَا تَسْوِقُهُ إِلَى أَنْ يَسَاوِيَ فِي جَهْدِهِ بَيْنَ دَعَائِهِ بِالْخَيْرِ وَطَلْبِهِ، وَبَيْنَ دَعَائِهِ بِالْشَّرِّ وَطَلْبِهِ لَهُ! تقول الآية: (وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دَعَاءَهُ بِالْخَيْرِ). لماذا؟: (وكان الإنسان عجولاً). "إِنَّمَا كَلِمَةُ "دَعَا" هُنَا تَنْطَوِي عَلَى مَعْنَى وَاسِعَةٍ يَشْمَلُ كُلَّ طَلَبٍ وَرَغْبَةٍ لِلْإِنْسَانِ، سَوَاءً أَعْلَنَ عَنْهَا بِلِسَانِهِ وَكَلَامِهِ، أَوْ سَعَى إِلَيْهَا بِعَمَلِهِ وَجَهْدِهِ وَسُلُوكِهِ. "إِنَّمَا اسْتَعْجَلَ الْإِنْسَانُ وَانْدَفَاعَهُ فِي سَبِيلِ تَحْصِيلِ الْمَنَافِعِ لِنَفْسِهِ، تَقُودُهُ إِلَى النِّظَرَةِ السُّطْحِيَّةِ لِلْأُمُورِ بِحَيْثُ أَنْزَلَهُ لَا يَحِيطُ بِأَشْيَاءَ بِالدراسة الشاملة المعمّقة ممّا يفوّت عليه تشخيص خيره الحقيقي ومنفعته الواقعية، وهكذا بنتيجة تعجّله وانْدَفَاعَهُ الْمُضْطَرِبِ يَضِيعُ عَلَيْهِ وَجْهُ الْحَقِيقَةِ، وَيَتَغَيَّرُ مضمونها بنظره، فيقود نفسه باتجاه الشر والأعمال السيئة الضارّة. وهكذا ينتهي الإنسان - نتيجة سوء تشخيصه واضطراب مقياسه في رؤية الخير والحقيقة - إلى أن يطلب من الله الشر، تماماً كما يطلب منهُ الخير، وأن يسعى وراء الأعمال السيئة، كسعيه وراء الأعمال الحسنة. وهذا الإضطراب